الإمام علي بن موسى الرِّضا عليه السلام مشكاة نور القرآن... وحجَّة أهل الزَّمان

الأستاذ المساعد الدكتور منيف أحمد حميدوش
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الفرات، الحسكة، سورية
monefhamidosh@gmail.com

Imam Ali al-Rida, peace be upon him The niche is the light of the Qur'an... and the argument of the people of the time

Munif Ahmed Hamidosh
Assistant Professor, Al-Furat University, College of Arts and Humanities, Al-Hasakah, Syria

الملخص:

إنَّ التعامل مع أهل البيت عليهم السلام والتوفيق في خدمتهم في نطاق محدود أو في نطاق الامكانيات المحدودة التي يمتلكها الإنسان إنما يتم لإرادة الله سبحانه و تعالى إذا أراد بعبده خيراً، فيهديه سبلها.

إن أئمتنا عليهم السلام.هم أعلام الهدى، ومنابر النور، وأن أرواحهم طاهرة ومقدسة، وهي مظهر لتجلي الصفات الإلهية، سواء إن كانوا في عهد الصبا أم في عهد الرجولة، فإن هذا من عوارض البدن وهم الذين كانوا أنوار محدقة في العرش.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي بن موسى الرضا، نور القرآن، حجة أهل الزمان، أنيس النفوس، الزهد والتصوف، الفكر السياسي، النهضة العلمية.

Abstract:-

Dealing with Ahl al-Bayt, peace be upon them, and success in their service within a limited scope or within the limited capabilities that a person possesses, is only done by the will of God Almighty, if He wants good for His servant, then He guides him in its ways.

Our imams, peace be upon them, are the flags of guidance, and the pulpits of light, and that their souls are pure and holy, and they are a manifestation of the manifestation of the divine attributes, whether they are in the era of youth or in the era of manhood, because this is one of the symptoms of the body and they are the ones who were lights staring at the throne.

Key words: Imam Ali bin Musa al-Ridha, the light of the Qur'an, the argument of the people of time, Anis al-Nofuf, asceticism and mysticism, political thought, the scientific renaissance.

المقدمة:

قال الإمام الرضا عليه السلام: {إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، فإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة}.

إنَّه الإمام الثامن من أئمة أهل البيت ـ الهداة معصومين عليهم السلام ، ـ القائم بالإمام بعد أبيه موسى بن جعفر ـ خع عليه السلام. لفضله على جماعة أهل بيته و بنيه و إخوته في عصره، و لعلمه و ورعه و كفاءته لمنصب الإمامة والخلافة من بعد أبيه، مضافاً إلى النصوص الواردة في حقه من أبيه عن جده النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله. وذلك على إمامته.

لا شكَّ بأنَّ سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام ووفقاً للظروف السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك تمتاز بجوانب عدة يمكن اتخاذها كنماذج فريدة للمجتمع الإسلامي وخاصة في موضوع بناء الحضارة الإسلامية الحديثة.

تمتاز حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بجوانب مختلفة من أهمها الجانب الثقافي والعلمي والديني، والفقهي، وذوده عن ثغور المعتقدات الإسلامية أمام الهجمات العاتية التي تعرضت لها أصول الإسلام.

فالمقال يسلط الضوء على حياة الإمام علي الرضا عليه السلام الشخصية، والعلمية والثقافية، ودوره في التفسير، وعلاقته بالقرآن، وكذلك يسلط الضوء على الزهد في فكر الإمام عليه السلام، والإصلاح في سلوكه ومنهجه، وكذلك الآثار الثقافية والفكرية للإمام علي الرضا عليه السلام.

الفصل الأول

الكليات والمفاهيم

١ـ المبحث الأول (الكليات)

أ) المطلب الاول ـ بيان المسألة:

الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم الذين اصطفاهم الله لهداية البشر بالحق، فكانوا المثل الأعلى، وكانوا القدوة الحسنة، وكانوا أصحاب الخلق الكريم، والأئمّة المعصومون عليهم السلام أنوار

إلهية، لأنّهم حفظة دينه بعد النّبي صلى الله عليه وآله، فجاء بحثنا بعنوان (**الإمام علي الرضا عليه السلام مشكاة نور القرآن، وحجّة أهل الزمان**) لينطوي على مضامين كثيرة، وعلى عناوين متعددة.

فالإمام علي الرضا عليه السلام يحمل في فكره ومنهجه تراثاً فكرياً وعلمياً وفقهياً ثرّاً، ويحمل تراثاً غنيّاً حافلاً بما تحتاجه الإنسانية، ويأتي هذا البحث لبيان كيف يتعامل الأئمة عليهم السلام مع القرآن الكريم، وفهم مراده وبيان بشكل عام، والإمام الرضا عليه السلام بشكل خاص.

لم يكن الإمام علي الرضا عليه السلام إماماً معصوماً فقط تجلت فيه صفات الإمامة، وإنّما كان مشروعاً إسلامياً نهضوياً، ومشروعاً علميّاً وفكرياً امتد حتى وقتنا الحاضر ولايزال قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ب) المطلب الثاني ـ أهمية البحث:

تمتاز أهمية البحث في تراث الإمام علي الرضا عليه السلام، كونه الإمام الثامن من أئمة المسلمين الذين هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وأوصياؤه، والذي فرض الله تعالى ولايتهم، وطاعتهم على البشرية جمعاء. وهم عِدْلُ القرآن ومشكاة نوره حين قال عليه الصلاة والسلام: {إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي }.

وتأتي أهمية البحث من أهمية العنوان فالإمام الرضا عليه السلام ورث علم آبائه عليهم السلام، وتميز بعلم ولغة وبيان وفقه، ومواعظ وحكم، ومناظرات مع العلماء والسياسيين وغيرهم. وهذا ما يكسب الموضوع أهميته.

ج) المطلب الثالث ـ منهج البحث:

من خلال سياق البحث واتجاهاته يمكن ان نتبع المنهج التاريخي حيناً كون الموضوع يحتاج إلى دراسة حياة الإمام ونشأته، وأيضاً المنهج التحليلي الوصفي، فهو مشكاة القرآن، كما عُرف بالقرآن الناطق، وكذلك هو حجةُ أهل زمانه، وهذا يتطلب منا أن نتبع منهجاً وصفياً في أحداث البحث.

ث) المطلب الرابع ـ اهداف البحث:

يهدف البحث إلى جملة من الأمور الآتية:

- تسليط الضوء على سيرة الإمام الرضا عليه السلام بطريقة علمية وأكاديمية.

- تسليط الضوء على الإمام علي الرضا عليه السلام القدوة والأسوة.
- تسليط الضوء على صفحات من مآثر الإمام علي الرضا عليه السلام.
- تسليط الضوء الآثار الثقافية والمعرفية للإمام علي الرضا عليه السلام

ج) المطلب الخامس ـ أسئلة البحث:

يقوم البحث على سؤالين

الأول: رئيسي: ما قيمة الآثار الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تركها الإمام علي الرضا عليه السلام على الأمة الإسلامية كونه وارث علم أهل البيت عليهم السلام؟

الثاني: فرعي ويأخذ محورين:

- تجليات علم الإمام عليه السلام في مناظراته .

- الأسلوب العلمي الذي اتخذه الإمام في محاوارته عليه السلام العلمية لغير المسلمين.

ح) المطلب السادس ـ فرضية البحث:

الفرضية الأولى: ارتبط اسم الأمام الرضا عليه السلام بالقرآن الكريم، وبأنه وريث علم أهل البيت.

الفرضيات الفرعية:

- العلاقة بين القرآن الكريم وبين الإمام علي الرضا عليه السلام
- الأثر العلمي والديني الذي تركه الإمام علي الرضا عليه السلام على المسلمين وغير المسلمين

خ) المطلب السابع ـ الدراسات السابقة:

هناك الكثير من المقالات التي تضمنت جوانب متفرقة من سيرة الإمام علي الرضا عليه السلام، قُدِّم أغلبها على شكل محاضرات، وقدم بعضها على شكل ندوات، وتضمنت جانباً واحداً من حياة الإمام علي الرضا عليه السلام، ولكن لم نجد أبحاثاً علمية أكاديمية شاملة لسيرته العطرة. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يستطيع بحثنا الإضاءة على جوانب متعددة لعالم آل محمد، لأنيس القلوب وغريب الطوس، وضامن الجنة...

ذ) المطلب الثامن ـ هيكلية البحث:

٢ـ المبحث الثاني ـ سيرة الإمام علي الرضا عليه السلام:

أ) المطلب الأول: ملامح من حياة الإمام علي الرضا عليه السلام الشخصية:

حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مدرسة تفيض بالعطاء، وتشع بالعلم، وتلهم الأجيال أروع دروس الكمال البشري، هذه الشخصية العظيمة كانت قدوة في الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والخصال الكريمة مما جعلها تتسم مقام الذروة من الكمال الإنساني.

لقد كانت شخصيّة الإمام الرضا عليه السلام ملتقى للفضائل بجميع أبعادها وصورها، فلم تبق صفة شريفة يسمو بها الإنسان إلاّ وهي من نزعاته، فقد وهبه الله كما وهب آباءه العظام وزيّنه بكل مكرمة، وحباه بكل شرف وجعله علماً لأُمّة جده، يهتدي به الحائر، ويسترشد به الضال، وتستنير به العقول.

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وكان عليه السلام مكتمل الجسم عظيم الهيبة. وكأيّن من ذي حاجة دخل عليه ليطلبها منه فشغله جلاله وهيبته عنها فبادره الإمام بقضائها.

وفي ولادته "حدثنا محمد بن إبراهيم بن اسحق الطالقاني.... عن غياث بن أسيد قال: سمعت جماعة من أهل المدينة يقولون: ولد الرضا علي بن موسى عليه السلام بالمدينة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائة من الهجرة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام بخمس سنين، وتوفي بطوس في قرية يقال لها سناباذ من رستاق نوقان، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة....وذلك في شهر رمضان لتسع بقين منه يوم الجمعة سنة ثلاث ومائتين وقد تم عمره تسعاً وأربعين سنة وستة أشهر منها تسعاً وعشرين سنة وشهرين مع أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام، وبعد أبيه أيام إمامته عشرين سنة وأربعة أشهر"[1].

وفي بحار الأنوار ورد مولد الإمام علي الرضا عليه السلام بالقول: وُلدَ الإمامُ أبو الحسنِ الثاني عليُّ بن موسى الرضا عليه السلام في المدينة المنورَّة في السنة التي استُشهد فيها الإمامُ الصادق عليه السلام وهي سنةُ ثمانٍ وأربعين ومائة للهجرة النبويَّة، وكان ميلادُه -كما هو المعروف- في اليوم

الحادي عشر من ذي القعدة، وكان قد بشَّر بمولده الإمامُ الصادق عليه السلام، كما أفاد ذلك الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث ذكر بحسبِ الرواية إنَّ أباه جعفرَ بن محمد عليه السلام قال له غير من مرَّة: "إنَّ عالمَ آلِ محمدٍ لفي صُلبِك، وليتني أدركتُه، فإنَّه سَمِيُّ أميرِ المؤمنين عليه السلام"(٢).

وروى الشيخُ الكليني في الكافي والشيخُ الصدوق في عيون أخبار الرضا عن خمسةٍ من أعاظم مشايخه بسند قريب عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلِيطٍ الزيدي قال: لقينا أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة ونحن جماعه، فقلت لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام في محضر أبنائه: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أَنْتُمْ كُلُّكُمْ أَئِمَّةٌ مُطَهَّرُونَ، والْمَوْتُ لَا يَعْرَى مِنْه أَحَدٌ، فَأَحْدِثْ إِلَى شَيْئاً أُحَدِّثْ بِه مَنْ يَخْلُفُنِي مِنْ بَعْدِي فَلَا يَضِلَّ، قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَؤُلَاءِ وُلْدِي، وهَذَا سَيِّدُهُمْ، وأَشَارَ إِلَى موسى بن جعفر، وفيه العِلمُ والْحُكْمُ والْفَهْمُ والسَّخَاءُ والْمَعْرِفَةُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْه النَّاسُ ومَا اخْتَلَفُوا فيه مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ودُنْيَاهُمْ وفيه حُسْنُ الْخُلُقِ وحُسْنُ الْجَوَابِ وهُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، وفيه أُخْرَى خَيْرٌ مِنْ هَذَا كُلِّه فَقَالَ لَه أَبِي: ومَا هِيَ؟ -بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي- قَالَ عليه السلام: يُخْرِجُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ مِنْه غَوْثَ هَذِه الأُمَّةِ وغِيَاثَهَا وعِلْمَهَا ونُورَهَا وفَضْلَهَا وحِكْمَتَهَا خَيْرَ مَوْلُودٍ وخَيْرَ نَاشِئٍ... ويُنْزِلُ اللَّه بِه الْقَطْرَ ويَرْحَمُ بِه الْعِبَادَ خَيْرَ كَهْلٍ وخَيْرَ نَاشِئٍ، قَوْلُه حُكْمٌ، وصَمْتُه عِلْمٌ، يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيه.."(٣).

سُمِّي بالرضا وهناك الكثير من الأحاديث والروايات التي تناقلت ذلك عن سبب تسميته قال: حدثنا علي ابن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهما السلام أنَّ قوماً من مخالفيكم يزعمون أباك إنما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده، فقال: كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سماه الرضا لأنَّه كان رضي لله عزَّ وجل في سمائه، ورضي لرسوله والأئمة من بعده سلام الله عليهم في أرضه، قال: فقلت له: ألم يكن كلُّ واحدٍ من آبائك الماضين عليهم السلام رضيَ الله تعالى ولرسوله والأئمة عليهم السلام، فقال: بلى. فقلت: فلم سمى أبوك من بينهم الرضا، قال: لأنَّه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام(٤).

ومن ألقابه: الرضا، الصابر، الفاضل، الرضيّ، الوفيّ، قرة أعين المؤمنين، غيظ الملحدين(٥)، وأما كنيته: فأبو الحسن الثاني. وولد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ابنه

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام فقط[٦].

وفي وفاته: عندما أحسّ المأمون أن توليته للإمام الرضا حققت للإمام الرضا عليه السلام ما أراد في حين أنه لم يتحقق له هو ما يريد ولذلك بدأ يستخدم الحيلة والمكر ويعد العدة لاغتيال الإمام سلام الله عليه حتى أمر بعض غلمانه أن يدسوا السم في حبات العنب وكان ذلك السم فتّاكاً، يقول أبو الصلت الهروي أن المأمون طلب الإمام الرضا عليه السلام إلى ديوانه فلما دخل الإمام الرضا إلى الديوان قدم له المأمون العنب فتمنع الإمام عن الأكل فأصر عليه المأمون فأكل ثلاث حبات من العنب فسرى السم في بدنه وبقى على فراش المرض، حيث استشهد بالسم في آخر صفر اليوم التاسع والعشرين، سنة ثلاث ومائتين من يوم الجمعة، ودفن في طوس[٧]، فسلام الله على غريب الغرباء وبعيد المدى وثامن الأئمة النجباء ما بقي الليل والنهار.

ب) المطلب الثاني ـ ملامح من حياة الإمام علي الرضا عليه السلام العلمية

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من أهل البيت التي تعتبر حياتهم مدرسة وعبرة وعظة تفيض بالعطاء وتشع بالخير والاستفاضة وتوحي بالكمال والهداية. أهل البيت عليهم السلام الذي يجسد سلوكهم مبادئ الرسالة حياة وعملاً، حيث كانت تربيتهم لتلامذتهم وأصحابهم على الالتزام والعمل قبل القول والكلام، وأن يكونوا دعاة للهدى بسلوكهم وفعلهم قبل أن يكونوا دعاة بأقوالهم.

عرف الإمام الرضا عليه السلام بكثرة علومه، وتنوعها، وسعتها، وهي سمة في شخصيته، وكان والده الإمام الكاظم ممن شهد له بذلك فكان يوجه أبناءه بالقول: " هذا أخوكم عليّ بن موسى الرضا عالم آل محمّد، فاسألوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم"[٨].

وعن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن أبي الصلت الهرويّ قال: كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة فقلت له يوماً: يا ابن رسول الله إنّي لاَ عجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها.

فقال: يا أبا الصلت أنا حجّة الله على خلقه وما كان الله ليتّخذ حجّة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام: أوتينا فصل الخطاب؟ فهل فصل الخطاب إلاّ معرفة اللغات.

وروى الحسن بن عليّ بن فضّال عن الرضا عليه السلام: أنّه قال له رجل من أهل خراسان: يا ابن رسول الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنّه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي وغيّب في ثراكم نجمي؟ فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة من نبيّكم وأنا الوديعة والنجم ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تعالى من حقّي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة ومن كنّا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجنّ والإنس.

"أربعة من أئمة الهدى تسنى لهم نشر معارف الإسلام في الآفاق. أولهم الإمام أمير المؤمنين وآخرهم الإمام الرضا والصادقان محمد بن علي وجعفر بن محمد (عليهم جميعاً صلوات الله).

وبالرغم من أن جميع أئمة الهدى نشروا العلم، إلاّ أن الظروف ساعدت هؤلاء الأربعة على ذلك أكثر من الآخرين"[٩].

و الإمام الرضا عليه السلام قد ساهم مساهمة فعّالة في الحركة العلمية في زمانه، فقد أُتيح له أن يتحرك في شتى الميادين، كما ركّز على فلسفة الأحكام الشرعية، يظهر ذلك من الروايات المروية عنه حول هذا المضمون. وتركيزه على قضايا الطب والصحة. كما برزت عنايته بمحاورة أصحاب الفرق والأديان الأخرى، وتتلمذ على يده كبار العلماء من مختلف المذاهب، وأشاد بفضله كبار رجال السياسية. وقد أقر الجميع بتفرّده علمياً في جميع مجالات المعرفة.

مؤلفات الإمام الرضا: لقد امتلك الإمام الرضا عليه السلام ثروات علمية هائلة شملت جميع ألوان العلوم والمعارف من الفلسفة، وعلم الكلام، والطب، والفقه، وغيرها، وقد دلت على ذلك بصورة موضوعية، وواضحة، مناظراته مع كبار الفلاسفة والعلماء الذين جلبهم المأمون من مختلف أقطار الدنيا وأمصارها إلى خراسان لامتحان الإمام. ومن مؤلفاته:

- مسائله عن علل الأحكام :ما كتبه إلى محمد بن سنان أجوبة لبعض المسائل.
- العلل: كما نقله عنه الفضل بن شاذان.
- ما كتبه إلى المأمون من محض الإسلام، وشرائع الدين. وهذه الثلاثة نقلها الصدوق في عيون أخبار.

- الرسالة الذهبية في الطب. وهي رسالة جليلة، كتبها الامام للمأمون بطلب منه، وسميت ب (الرسالة الذهبية) لنفاستها، وقد عرضت بصورة موضوعية وشاملة إلى برامج الأغذية الصحية التي تعتبر الأساس للصحة العامة.
- مسند الإمام الرضا عليه السلام: أو صحيفة الإمام الرضا، وقد احتوت على طائفة من الاخبار يروي الإمام عليه السلام بعضها بسنده عن جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد طبعت في القاهرة، طبعها، وعلق عليها العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسمي.
- جوامع الشريعة: وقد جمعت غرر الأحكام الشرعية، وأمهات المسائل الفقهية، وقد أملاها الإمام عليه السلام على الفضل بن سهل رئيس وزراء المأمون، وذلك بطلب منه، وذكرت هذه الرسالة في " تحف العقول " وغيره من مؤلفات الشيعة، وقد نقلناها عنهم، وأثبتناها في غضون هذا الكتاب
- صحيفة الرضا.

ت) المطلب الثالث ـ ملامح من حياة الإمام علي الرضا عليه السلام الخلقية

عُرف عن الغمام الرضا عليه السلام بأنه كان أنموذجا رائعا لسلوك آبائه الذين عرفوا بنكران الذات، والتجرد عن كل نزعة لا تمت إلى الحق والواقع بصلة لقد تميز سلوك الإمام الرضا عليه السلام بالصلابة للحق، ومناهضة الباطل، وكان سلوكه مع أهل بيته وأخوانه مثالاً آخر للصرامة في الحق، فمن شذ منهم في تصرفاته عن احكام الله تعالى جافاه وابتعد عنه، وقد حلف أن لا يكلم أخاه زيدا حتى يلقى الله تعالى حينما اقترف ما خالف شريعة الله.

أما سلوكه مع أبنائه فقد تميز بأروع ألوان التربية الإسلامية وخصوصاً مع ولده الإمام الجواد عليه السلام فالإمام الرضا عليه السلام الذي كان يطلق الكلمة الأحسن مع أعدائه ومع أصدقائه على السواء ويتحدث بالكلمة الأفضل مع الذين يؤذونه ومع الذين يحسنون إليه.

أما عناصر الإمام الرضا عليه السلام ومكوناته النفسية فكانت ملتقى للفضيلة بجميع أبعادها وصورها، فلم تبق صفة شريفة يسمو بها الانسان إلا وهي من ذاتياته، فقد وهبه الله كما وهب آباءه العظام بكل مكرمة، وحباه بكل شرف وجعله علما لامة جده، يهتدي به الحائر، ويرشد به الضال، وتستنير به العقول.. وهذه بعض خصاله، وعناصر مكارم أخلاقه

إنّ مكارم أخلاق الإمام الرضا عليه السلام نفحة من مكارم أخلاق جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي امتاز على سائر النبيين بهذه الكمالات، فقد استطاع صلى الله عليه وآله بسمو أخلاقه أن يطور حياة الإنسان، وينقذه من أحلام الجاهلية الرعناء، وقد حمل الإمام الرضا عليه السلام أخلاق جده.

كان عليه السلام يحترم الناس الذين يتحدثون إليه فيجعلهم يسترسلون في كلامهم دون أن يقاطعهم لأن ذلك قد يؤذيهم ويسيئ إليهم وإلى ما يحبون أن يعبروا عنه يقول حدثنا أحمد بن إدريس...قال: (ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحدا بكلمة قط ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما رد أحدا عن حاجة يقدر عليها ولا مد رجله بين يدي جليس له قط ولا أتكئ بين يدي جليس قط، ولا رأيته شتم أحدا من مواليه ومماليكه قط ولا رأيته تفل ولا رأيته يقهقه في ضحكة قط بل كان ضحكه التبسم، وإذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه ومواليه حتى البواب السائس)[١٠].

وقصة دخول الإمام الرضا عليه السلام إلى حمام السوق معروفة حيث جسد فيها أخلاق الملوك، وجسد فيها أخلاق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، والقصة نرويها بشكل مختصر هي: لما دخل الإمام الرضا عليه السلام يوماً حمّاماً فبينما هو في مكان من الحمّام، إذ دخل عليه جنديّ، فأزال الإمام عليه السلام عن موضعه، وأمره أن يصب الماء على رأسه، ففعل الإمام عليه السلام ذلك، ودخل الحمّام رجل كان يعرف الإمام فصاح بالجندي هلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فذعر الجندي، ووقع على الإمام عليه السلام يقبل أقدامه، ويقول له متضرّعاً: "يا ابن رسول الله ! هلاّ عصيتني إذ أمرتك؟". فتبسّم الإمام عليه السلام في وجهه وقال له برفق ولطف: "إنّها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه".

ضرب الإمام الرضا عليه السلام أروع الأمثلة في التواضع، وهذه الصفة من ذاتيات الإمام عليه السلام التي لا تنفك عنه بحال، وقد أورد التاريخ العديد من الأمثلة الدالة على تواضعه فقد أخرج الشيخ الكليني بسنده: ((إن الإمام الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة فقال: مَهْ، إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال))[١١].

إن تواضع الإمام الرضا عليه السلام يجسد مفردة من مفردات الأخلاق الإسلامية، والتواضع صفة ملازمة للأنبياء والأئمة والأولياء.. فلنقتدِ بالإمام في تواضعه لكل الناس، ولنكن مثالاً

للتواضع والأخلاق الحسنة.

قال الإمام علي الرضا عليه السلام: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنَّةٌ من ربِّه، وسنَّةٌ من نبيه، وسنةٌ من وليه، فأما السنة من ربِّه فكتمان سرِّه، قال الله جلَّ جلاله: ((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ))(١٢).

وأمَّا السنَّةُ من نبيه فمداراة الناس لقوله تعالى: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))(١٣).

وأمَّا السنَّة من وليه فالصبر في البأساء والضراء لقوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(١٤).

ومن الصفات الخلقيّة عليه السلام:

- سخاؤه عليه السلام: ولم يكن شيء في الدنيا أحبّ إلى الإمام الرضا عليه السلام من الإحسان إلى الناس. حيث أنفق جميع ما عنده على الفقراء، حينما كان في خراسان، وذلك في يوم عرفة فأنكر عليه الفضل بن سهل، وقال له: إنّ هذا لمغرم...فأجابه الإمام عليه السلام: "بل هو المغنم لا تعدّنّ مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً"(١٥).
- تكريمه للضيوف: كان عليه السلام يكرم الضيوف، ويغدق عليهم بنعمه وإحسانه وكان يبادر بنفسه لخدمتهم، وقد استضافه شخص، وكان الإمام يحدثه في بعض الليل فتغيّر السراج فبادر الضيف لإصلاحه فوثب الإمام، وأصلحه بنفسه، وقال لضيفه: "إنّا قوم لا نستخدم أضيافنا"(١٦).
- إحسانه إلى العبيد: وكان الإمام عليه السلام كثير البر والإحسان إلى العبيد، وقد مرَّ ذكره سابقاً.
- **عبادته:**

ويحدثنا المؤرخون عن عبادة الإمام الرضا عليه السلام،حيث كان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مر بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ من النار، فكان الليل محرابه وسبحه الطويل ومأوى مناجاته ومجلس ذكره وتضرعه، فكان الإخلاص في

العبادة وتعبيد النفس لله سبحانه وإشعاره بالعبودية له وحده هي الغاية من العبادة. يقول حدثنا أحمد بن إدريس...قال: (وكان عليه السلام قليل النوم بالليل كثير السهر يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول ذلك صوم الدهر وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السر وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدق)[١٧].

وقد حدد لنا الإمام الرضا عليه السلام ملامح الروح الرسالية التي ينبغي للمؤمن أن يعيشها في حياته التي تفتح أمام عينيه الآفاق الرحبة التي تنفتح على مسؤوليات في الدنيا والآخرة: (إن الله عز وجل أمر بثلاثة مقرنة بها ثلاث أخرى، أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يزك لم تقبل منه صلاته، وأمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر باتقاء الله وصلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله عز وجل).

يعلمنا الإمام عليه السلام أن المقياس في العبادة ليس كثرة الصلاة والصيام (ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله)[١٨] وقد يقال: المراد بالتفكر في أمر الله طلب العلم بكيفية العمل، وآدابه وشرايطه، والعبادة بدونه باطله، فبمقدار ما تعرف الله تعالى أكثر في عقلك بمقدار ما يخشع عقلك له سبحانه.

من توجيهاته الأخلاقية عليه السلام ما رواه علي بن شعيب أنه قال:

(دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: يا علي، من أحسن الناس معاشاً؟ فقلت: أنت يا سيدي أعلم به مني. فقال: يا علي، من حسُن معاش غيره في معاشه. يا علي، من أسوأ الناس معاشاً؟ قلت: أنت أعلم. قال: من لم يعش غيره في معاشه. يا علي، أحسن جوار النعم فإنها وحشية ما نأت عن قوم فعادت إليهم. يا علي، إن شر الناس من منع رفده وأكل وحده وجلد عبده. يا علي، أحسِن الظن بالله فإن من حسن ظنه بالله كان الله عند ظنه، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤونته ونعم أهله وبصّره الله داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام)[١٩].

وصف رجاء بن الضحاك الذي رافق الإمام عليه السلام طوال سفره من المدينة إلى مرو، عبادة الإمام وتقواه فقال: فكنت معه من المدينة إلى مرو فو الله ما رأيت رجلاً كان أتقى الله تعالى منه ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته منه، ولا أشد خوفاً لله عز وجل منه ،،فكان إذا

أصبح صلى غداه ، وإذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره، ويصلى على النبي حتى طلوع الشمس، ثم يسجد سجدة يبقى فيها حتى يتعالى النهار ثم أقبل على الناس يحدثهم ويعظم حتى الزوال.

٣ـ المبحث الثالث: الإمام علي الرضا عليه السلام القدوة والأسوة

أساليب التأثير على الأفراد كثيرة، إلاَّ أنَّ القدوة التي تتحرَّك أمامهم تبقى الأشد والأمضى، وهي الَّتي تترك أثرها: أفراد، وجماعات... بل أجيالاً تأتي من بعد.

فالنموذج الَّذي نعيش معه هو الأكثر تأثيراً من مُجْمل الكلمات والنظريات والخُطب والتوجيهات، عندما نرى تطبيقاً حياً، ومثالاً صادقاً.

أ) المطلب الاول ـ إمامة علي الرضا عليه السلام

ففي معرفة أدلة الإمامة محطات ثلاث:

الأولى: التعرف على مفهوم الإمامة: وهي لطف من الله تبارك وتعالى كالنبوة، وهي استمرارٌ لها وخلافة فيما بعدها، ولا تكون الإمامة إلاَّ بالنص من الله عزَّ وجل فلا اختيار للناس في تعيينها، وهي أصل من أصول الدين، إذ لا يتم الإيمان إلاَّ بالاعتقاد بها[٢٠].

أما الإمام فهو من اختيار الله عزَّ وجل لعباده دليلاً هادياً للبشر بعد صاحب الرسالة، ومن كّلف بهذا لابدَّ أن يكون معصوماً من الذنوب والعيوب مطلعا على عوالم الغيب، وقد أشار الإمام علي الرضا في نص مبارك إلى الإمامة والإمام وخصالهما[٢١].

ونقف قليلاً مع نص له عليه السلام يتحدث فيه الإمام علي الرضا عليه السلام عن مفهوم الإمام، يقول عليه السلام:"الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم، وهو بالأفق حيث لا تناله الأبصار والأيدي. الإمام: البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الطالع، والنجم الهادي في غيابات الدجى، والدليل على الهدى، والمنجي من الردى. الإمام: أمين الله تعالى في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذابّ عن حريم الله"[٢٢].

الثانية: الأدلة العقلية: وهو ينقسم إلى قسمين:

أ - يتعلق بالله عزَّ وجل وهو محض الرحمة والخير، فعن ابن عباس قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال:" أنا المنذر، ثمَّ أومأ إلى منكب علي عليه السلام، وقال صلى الله عليه وآله: أنت الهادي يا علي عليه السلام، بك يهتدي المهتدون من بعدي"(٢٣).

ب - يتعلق بالناس: إذ هم لا غنى لهم عن الإمامة والإمام، بل لا حياة لهم بغيرهما، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: " ما زالت الأرض إلاَّ ولله فيها الحجةُ، يعرف الحلال الحرام، ويدعو الناس إلى سبيل الله "(٢٤).

الثالثة: الأدلة النقلية: وهي النصوص الشريفة التي أوردت اسم الإمام الرضا عليه السلام بوصفه إماماً ووصياً، باللفظ والمعنى، صريحاً مرَّة بالاسم أو الكنية أو اللقب، أو بالمضمون في جملة الأئمة الأطهار من ولد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أو من ولد الإمام الحسين عليه السلام(٢٥).

وفي إمامته: نصوص كثيرة تدلنا على الإمامة منها الحديث عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنة وعلى ابنه عليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد فقلت: لبيك، قال: إنَّه سيكون في هذه السنة حركة فلا تجزع منها، ثم أطرق، ونكت، بيده في الأرض ورفع رأسه.

"وفي حديث آخر حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا الحسن بن محمد بن عبدالله بن عيسى عن أبيه، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن محمد بن الاصبغ....قال: قال لي منصور بن يونس بن برزخ دخلت على أبي الحسن يعني موسى بن جعفر عليه السلام يوماً فقال لي يا منصور: أما علمت ما أحدثت في يومي هذا؟ قلت لا، قال: قد صيرت علياً ابني وصيي وأشار بيده إلى الرضا عليه السلام، وقد نحلته كنيتي والخلف من بعدي، فادخل عليه وهنئه بذلك وأعلم أني أمرتك بهذا قال: فدخلت عليه فهنيته بذلك، وأعلمته أم أمرني بذلك "(٢٦).

وفي حديث آخر: حدثنا أحمد بن زياد جعفر الهمداني رضي الله عنه، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه عن اسماعيل بن مرار، وصالح بن السندي،.... عن حسين بن بشير قال: أقام لنا أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ابنه عليا عليه السلام، كما أقام رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يوم

غدير خم. فقال: يا أهل المدينة أو قال: يا أهل المسجد هذا وصيي من بعدي والنصوص في ذلك وصلت إلى الثلاثين حديثاً تقريباً تتحدث عن إمامة الإمام علي الرضا عليه السلام.

وفي قول النبي صلى الله عليه وآله عن الأئمة الاثنا عشرية قال: "حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق.....عن الحسن بن علي بن أبي حمزة....عن الصادق جعفر بن محمد، عن ابيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طال عليه السلام، وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدي المقرُّ بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر"(٢٧).

ب) المطلب الثاني ـ الإمام علي الرضا عليه السلام وريث علم أهل البيت عليهم السلام

رُوي عن الإمام الرضا، عليه السلام، أنّه قال: ((..إذا أَخَذَ النّاسُ يَميناً وَشِمالاً فَالْزَمْ طَريقَتَنا؛ فَإِنَّهُ مَنْ لَزِمَنا لَزَمْناهُ، وَمَنْ فارَقَنا فارَقْناهُ))(٢٨).

لقد كان الإمام الرّضا عليه السلام، فكان موروثاً عن جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله، هذا وقد أوصى أبوه الإمام الكاظم عليه السلام أخوته بأن يلتزموا بكلمته ويتّبعوه، فهو عالم آل محمد، ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه كان يقول لبنيه: "هذا أخوكم عليّ بن موسى عليه السلام، عالمُ آل محمّد، فاسألوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإنّي سمعت أبي جعفر بن محمد غير مرَّة يقول: إنَّ عالِم آل محمَّد لفي صلبك، وليتني أدركته، فإنَّه سميّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ".

أما نزعات الإمام الرضا عليه السلام وعناصره النفسية فهي كنزعات آبائه الأئمة العظام تجردا عن الدنيا، وزهداً في مباهجها، وإعراضا عن زينتها، وإقبالا على الله، وانقطاعا إليه، وتمسكا بطاعته، وعلما بأحكام الدين، وإحاطة شاملة بشريعة سيد المرسلين، وعونا للضعفاء، وغوثا للمحرومين، وسعيا لقضاء حاجات المحتاجين، إلى غير ذلك من الصفات الكريمة التي جعلتهم في قمة الشرف والمجد.

قضاء علي الرضا عليه السلام، سنتناول بعض المسائل في دراستنا للتدليل على أنَّ الإمام علي الرضا عليه السلام كان من أكثر الناس في تلك المرحلة قضاء بين الناس، وما نقدمه نماذج فقط ليس أكثر فعلم الرضي عليه السلام وفقهه أكثر من أن تحصى في مقال أو ندوة.

النموذج الأول: يقول قدماء العامة عن النبي صلى الله عليه وآله:إنه قال: علي أقضاكم. قال: زدني يا

موسى قلت: المجالس بالأمانات وخاصه مجلسك فقال: لا بأس عليك فقلت: أن النبي صلى الله عليه وآله لم يورث من لم يهاجر ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر فقال: ما حجتك فيه؟ فقلت: قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾[٢٩]، وأنّ عمى العباس لم يهاجر فقال لي: أسئلك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا أم أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشئ؟ فقلت: اللهم لا وما سألني عنها إلاّ أمير المؤمنين.

النموذج الثاني: ثم قال: لم جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون لكم: يا بني رسول الله صلى الله عليه وآله،وأنتم بنو (علي)، وإنما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنما هي وعاء والنبي صلى الله عليه وآله جدكم من قبل أمكم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي صلى الله عليه وآله نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه؟ بل افتخر علي العرب والعجم وقريش بذلك فقلت له: لكنه صلى الله عليه وآله لا يخطب إلى ولا أزوجه، فقال: ولم؟ فقلت: لأنه صلى الله عليه وآله ولدني ولم يلدك فقال: أحسنت يا موسى.

النموذج الثالث: قال: كيف قلتم: أنا ذريه النبي صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله لم يعقب وإنما العقب للذكر لا للأنثى: وأنتم ولد البنت ولا يكون لها عقب؟! فقلت: أسألك يا أمير المؤمنين بحق القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفاني عن هذه المسألة فقال: لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم.

كذا أنهي إلى ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجه من كتاب الله تعالى وأنتم تدعون معشر ولد (علي) أنه لا يسقط عنكم منه بشئ ألف ولا واو إلا وتأويله عندكم واحتججتم بقوله عز وجل ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٣٠]، وقد استغنيتم عن رأى العلماء وقياسهم فقلت: تأذن لي في الجواب: قال: هات قلت: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣١].

من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أمنا فاطمة عليها السلام أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات قلت:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٣٢] ولم يدع أحد أنه أدخل النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند المباهلة للنصارى إلاّ(علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين)عليهم السلام ، فكان تأويل قوله تعالى (أبنائنا) الحسن والحسين و(نساءنا) فاطمة و(أنفسنا) علي بن أبي طالب عليه السلام على أن العلماء قد اجمعوا على أن جبرئيل عليه السلام قال يوم أحد: يا محمد إنَّ هذه لهي المواساة من علي عليه السلام، قال: لأنَّه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: {لا سيفَ إلاَّ ذو الفقار ولا فتى إلاَّ علي} فكان كما مدح الله تعالى به خليله عليه السلام:.

ت) المطلب الثالث ـ الزهد والتصوف عند الإمام علي الرضا عليه السلام

كثرت صفات الإمام الرضا عليه السلام وتعددت ونحن هنا لا يمكن لنا حصر صفاته في مقال أو بحث صغير، ومن صفاته الزهد في الدنيا، والإعراض عن مباهجها وزينتها، وقد تحدث عن زهده محمد بن عباد حيث قال:" كان جلوس الرضا على حصيرة في الصيف، وعلى مسح – الكساء من الشعر – في الشتاء، ولباسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزين"[٣٣].

ويقول الرواة: إنه التقى به سفيان الثوري، وكان الإمام عليه السلام قد لبس ثوبا من خز، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو لبست ثوبا أدنى من هذا؟ فأخذ الإمام عليه السلام يده برفق وادخلها في كمه فإذا تحت ذلك الثوب مسح، وقال عليه السلام له: (يا سفيان: الخزُّ للخلق، والمسح للحق)[٣٤].

وهذا يشير إلى أن الإمام كان يلبس للناس الملابس الجيدة، لأنَّ الناس ينظرون إلى الشخص من خلال ملابسه، حتى قيل: كُلْ ما تشتهي نفسك والبس ما يشتهي الناس. لكن الإمام كان يلبس لباساً آخر لله عز وجل، وفيه تقشف ورياضة للجسد حتى يبقى الزهد والتواضع ماثلاً أمام نفسه في كل لحظة من لحظات حياته.

فقد كان الزهد من أبرز الذاتيات في خلق الإمام الرضا عليه السلام ومن أظهر مُكوّناته النفسية.

وبقي الإمام الرضا محافظاً على زهده حتى عندما أصبح ولياً للعهد التي هي أعظم مركز في الدولة الاسلامية، فقد كان الشخصية الثانية بعد المأمون.

إذ يجمع مؤرخو سيرته المباركة على أنه لم يحفل بأية مظاهر أو أبهة كما يعتاد عند أهل الحكم والبلاط، خصوصاً وأن مظاهر الارستقراطية كانت بارزة في البلاط العباسي،

إلاَّ أنَّ الإمام الرضا عليه السلام لم يكن يقيم للمظاهر ولا الدنيا بما فيها من زخارف وبهارج أية قيمة، بل المهم عند الإمام هو القيم والأخلاق والمثل العليا.

لقد زهد في الدنيا واستصغر شأنها، ورفض مغرياتها، فرفع الله الحجاب بينه وبين الحقائق لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وهو حجاب سميك بين الإنسان وبين حقائق الخلق.

وكان ذلك عندما أقبلت الدنيا عليه فلم يقبلها، وتزينت له فلم يغترّ بها. بل عندما كانت الخلافة العباسية في أوج عظمتها وبذخها وترفها وكان الإمام ولي عهد الخليفة في الظاهر يومئذ عاف الدنيا وشهواتها.

وأعظم الزهد زهده في الخلافة بالطريقة التي عرضها عليه المأمون العباسي، فإن من الناس من يزهد في الدنيا طلباً لما هو أعظم من متاعها. ولا أعظم من الرئاسة في أعين الإنسان.

وجاء في الخبر أن المأمون قال للإمام الرضا عليه السلام: ((يا ابن رسول اللّه، قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي، فقال الرضا: عليه السلام بالعبوديّة للّه -عزّ وجلّ- أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند اللّه - عزّ وجلّ -.
يقول الفضل بن سهل الذي شهد حوار المأمون مع الإمام الرضا في شأن الخلافة ما رأيت الملك ذليلاً مثل ذلك اليوم.

يقول المأمون العباسي فيما روي منه، فجهدت الجهد كله وأطمعته في الخلافة وما سواها فما أطمعني في نفسه[٣٥].

الفصل الثاني

الإمام علي الرضا عليه السلام القرآن الناطق

١ـ المبحث الأول: الإمام علي الرضا عليه السلام والقرآن الكريم:

أ) المطلب الأول: بين القرآن وعلي الرضا عليه السلام

اعتبر الإمام علي الرضا عليه السلام بمثابة القرآن الناطق، فخلقه من القرآن، وعلمه ومكرماته من القرآن، وأعظم ميزات الإمام علي عليه السلام أن الله قد جعل أذنه واعية للقرآن، والنبي صلى

الله عليه وعلى آله وسلم يذكرنا بأنّه يخلّف بعده الثقلين: كتاب الله وعترته أهل بيته، ثم بيّن أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. أوَلا يعني ذلك أن أهل بيت الرسالة عليهم السلام كانوا مشكاة نور القرآن ومعدن خيرات الوحي ومستقر علم الله؟.

وكان الإمام الرضا عليه السلام قد تمثل هذا النور، يقول إبراهيم بن العباس: مَا رَأَيْتُ اَلرِّضَا عليه السلام سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ عَلِمَهُ وَلاَ رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَا كَانَ فِي اَلزَّمَانِ إِلَى وَقْتِهِ وَعَصْرِهِ وَكَانَ اَلْمَأْمُونُ يَمْتَحِنُهُ فِي كُلِّ ثَلاَثَةٍ بِالسُّؤَالِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَيُجِيبُ فِيهِ وَكَانَ كَلاَمُهُ وَ جَوَابُهُ وَ تَمْثِيلُهُ بِآيَاتٍ مِنَ اَلْقُرْآنِ وَكَانَ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ ثَلاَثٍ وَيَقُولُ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْتِمَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ لَخَتَمْتُ وَلَكِنْ مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ قَطُّ إِلاَّ فَكَّرْتُ فِيهَا وَ فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ وَ فِي أَيِّ وَقْتٍ فَلِذَلِكَ صِرْتُ أَخْتِمُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ."(٣٦).

ولكن السؤال كيف تمثّل الإمام الرضا عليه السلام القرآن؟

القرآن كتاب الله ومن لا يتصل قلبه بنور الله لا يعرف كتابه، أو لم يقل ربنا سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(٣٧).

وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مر بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوّذ من النار.

كانت معظم أدلته الفقهية والشرعية والاحتجاجية من القرآن الكريم، وكان متمسكاً بالتقوى للرسول أكثر ما تمسك بالولادة لقوله تعالى عندما خاطبه أحدهم بالقول أنتخير الناس فاعترض عليه الإمام وقال: "التقوى شرفتهم وطاعة الله أعظمتهم "، وردد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣٨).

وهكذا أطاع الله بكل جوانب حياته، فأحبه الله ونوّر قلبه بضياء المعرفة وألهمه من العلوم ما ألهمه.

وجعله حجة بالغة على خلقه، أو لم نقرأ سورة صلى الله عليه وآله كيف بيّن فيها ربنا مواهبه لعباده الصالحين، وأنه إنما أتاهم كل تلك المواهب لعبادتهم وإخلاصهم فقال مثلاً: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ. . . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٣٩].

ومن يعظم الله يعظم أولياءه، ومن يرفض توقير أولياء الله يفقد السبيل الى الله. والإمام الرضا عليه السلام سلك هذا السبيل إلى ربه بالحكمة والموعظة وحسن التدبير والرجوع إلى القرآن في كل ما اعترضه في حياته.

ب) المطلب الثاني ـ آثاره عليه السلام في تفسير القرآن:

القرآن الكريم هو الدستور السماوي الإلهي الذي نظَّم حياة المسلمين وشؤونهم، لذلك كان من الطبيعي الاهتمام به تلاوةً وفهماً وتعلُّماً، فالقرآن الكريم هو إرث إلهي للمسلمين، أرسله الله للبشرية كنظامٍ متكاملٍ يحقق لهم العدالة البشرية والسعادة، فكل التفاسير القرآنية المختلفة، وكل ماجيء به من تفسير وتدقيق وبحثٍ كلُّها حثَّت على تلاوة القرآن وفهم معانيه.

وفي هذا المبحث نريد تسليط الضوء على آثار الإمام الرضا عليه السلام في تفسير القرآن من خلال نماذج قرآنية قام بتفسيرها الإمام الرضا عليه السلام، وكذلك نسلط الضوء على كيفية التعامل من القرآن الكريم من قبل الأئمة عليهم السلام، فالإمام الرضا عليه السلام تربَّى في بيت النبوة، ومعدن الحكمة، في أحضان أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، وورث علم آبائه عليهم السلام.

وقد آثرنا في بحثنا هذا أن نعرِّج على ما أُثرَ من التفسير عن الإمام الرضا عليه السلام، فاخترنا نماذج من الآيات المباركة التي تضمنتها تفاسير العلماء وكتب الحديث لنكون على بيِّنة من تراث أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٤٠]، روي عن الإمام الرضا عليه السلام في معنى قوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال يعني أُسمٌ نفسي بسمةٍ من سمات الله تعالى وهي العبادة. قيل له: ما السمة؟. قال: العلامةُ[٤١].

يشير الإمام عليه السلام في هذا الحديث إلى "أن الإنسان إذا أراد الابتداء بعملٍ لله تعالى فعليه أن يُعلن انتماءه وعبوديته له بعلامة يعرفه الآخرون من خلالها "[٤٢].

قال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: (وهذا المعنى كالمتولد من المعنى الذي أشرنا إليه في كون الباء للابتداء، فإنَّ العبد إذا وسم عبادته باسم الله لزم ذلك أن يسمَ نفسه التي ينسبُ إليها بسمةٍ من سماته)(٤٣).

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله في ذلك: (بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها)(٤٤).

الآية الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٤٥).

روي عن أبان أنَّه دخل على الإمام الرضا عليه السلام قال: فسألته عن قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

فقال: ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام ثمَّ سكت.

قال: فلما طال سكوته قلت: ثمَّ من؟

قال: الحسن عليه السلام.ثم سكت، فلما طال سكوته قلت: ثمَّ من؟

قال الحسين عليه السلام. قلت ثمَّ من؟

قال: علي بن الحسين عليه السلام وسكت.

قال فلم يزل يسكت عند كل واحد حتى أعيد المسألة، فيقول حتى سمَّهم إلى آخرهم(٤٦). وهذا ما يتعلق بإمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، وقد ذكرهم الرضا بما ورد عن آبائه عن جدهم عليهم السلام. وهذا يؤكد النصَّ على إمامتهم دون سواهم من الخلق أجمعين. والروايات في النص على الأئمة عليهم السلام في هذا الباب متعددة عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة عليهم السلام. ولن نذكرها خوف الإطالة.

الآية الثالثة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٤٧).

روي عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله " السكينة" قوله: "السكينة ريحٌ من الله،

تخرج طيبة لها صورةٌ كصورة وجه الإنسان، فتكونُ مع الأنبياء "[٤٨].

إنَّ في هذا الحديث إشارة إلى الطمأنينة التي تسكن قلوب المؤمنين بالله تعالى، لذلك عبَّر عنها بقوله: "ريحٌ" وفي كلمات اللغويين ما يدلُّ على هذا المعنى فضلاً عن مصاديقها[٤٩].

وقال ابن منظور: قال بعضهم: السَّكينة: الرحمة، وقيل: هي الطمأنينة، وقيل هي النصر، وقيل هي الوقار وما يسكن به الإنسان[٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾[٥١].

أمَّا ذيل الرواية وقوله: " لها وجهٌ كوجه الإنسان" فقد ورد مثل ذلك عن العلماء ما يؤيد الحديث، قال الراغب الأصفهاني: " وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقد قيل: هو مَلَكٌ يسكنُ قلبَ المؤمنِ ويؤمنُهُ، وقيل: هو العقل"[٥٢].

نكتفي بما تقدم من آيات تمَّ تفسيرها، ومن الآيات التي له قام بتفسيرها:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[٥٣].

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٥٥].

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٥٦].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٥٧].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥٨].

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥٩].

وهذا ما يدلنا على أن التفسير بالمأثور هو أول أنواع التفسير للقرآن الكريم ، إذ إنَّ مصدره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والأئمة عليهم السلام، وأصحابهم، وتلاميذهم، وبالتالي يكون من أدق التفاسير الروائية لأنه أخذ ممن هم أعلم بالكتب.

ت) المطلب الثالث ـ الإمام الرضا عليه السلام العروة الوثقى بين القرآن والرسول صلى الله عليه وآله

لقد أوصى الرسول صلى الله عليه وآله بطرفين وجعلهما سبيل الاعتصام بعده، وشرط للأمَّة إن تمسَّكت بهذين الطرفين فإنَّها لن تضلَّ بعده،: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْآخَرُ عِتْرَتِي: أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا))[٦٠]، وقد كرر هذه الوصية مراراً. ومن هنا أصبح العاصم للأمَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب الله تعالى وأهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله، وصار على الأمَّة لزاماً أن يتمسَّكوا بهاتين العروتين والسير على هديهما؛ ولكنَّ المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قد تفرَّقوا واختلفوا بهذا الشأن، وسيحشر النَّاس كلًّا بإمامهم.

كان الرضا عليه السلام من الشجرة الطيبة التي أكرمها الله، وبارك لأمة محمد فيها وقال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦١].

ولقد اختار الله يحيى بن زكريا للنبوة وآتاه الحكم صبيّاً، بحكمته البالغة وإكراماً لوالده زكريا. واختار مريم صديقة حينما نذرت امرأة عمران ما في بطنها محرراً لله. واختار عيسى ابن مريم عليه السلام كرامة لوالدته الصديقة فكلم في المهد قائلاً: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾[٦٢]، فلماذا نستغرب حينما يختار من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله اثنا عشر نقياً، أئمة هداة ميامين بحكمته البالغة وكرامة لأقرب الناس إلى الله سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله.

وعلي بن موسى الرِّضا عليه السلام بوصفه أحد أئمَّة أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن وترجمانه، فالتلازم بين القرآن والعترة مكملان لبعض، والرضا استدل في حججه من كتاب الله تعالى بآيات محكمات، وقد بيَّن أنَّ من أنكر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأوَّلها بتأويلاتٍ أوهى من بيت العنكبوت، أو أنكر وجود النصِّ لإمامة أهل البيت عليهم السلام في القرآن.

وفي موضعٍ آخر يحلُّ الإمام الرضا عليه السلام إشكال خطيئة آدم عليه السلام، وفحوى هذا الإشكال

أنَّ الله تعالى أخبر بما ظاهره أنَّ آدم عليه السلام ارتكب المعصية، وهذا يتعارض مع ما هو مستقرٌّ في الأذهان من أنَّ الأنبياء معصومون لا يجوز عليهم الخطأ، وهنا الخطاب القرآني يُسند الخطأ بصورةٍ مباشرة إلى آدم عليه السلام ومن دون تبريرٍ لخطئه، ثمَّ يصفه بالغواية.

وقد شكَّلت هذه التساؤلات إشكالًا لدى المأمون العبَّاسي، وما كان منه إلَّا أن توجَّه إلى الإمام علي بن موسى الرِّضا عليه السلام من أجل بيانه، فسأله بقوله: {يا بن رسول الله أليس من قولك: الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله (عز وجل): ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾؟ فقال عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لادم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[٦٣]، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٦٤] ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا ممَّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها، وإنَّما أكلا من غيرها لَمَّا أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ﴾[٦٥]، وإنَّما ينهاكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٦٦]، ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[٦٧]، فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنبٍ كبيرٍ استحقَّ به دخول النار، وإنَّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلمَّا اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيره ولا كبيره، قال الله (عز وجل): ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٦٨]، وقال (عز وجل): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٦٩][٧٠].

وفي منحىً آخر يتصدَّى الإمام الرضا عليه السلام لبيان قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٧١]، وهذا الخطاب موجَّه للرسول محمَّد صلى الله عليه وآله وظاهره أنَّ للنبي ذنوبًا وقد وعده الله تعالى بأن يغفرها له، وقد صرَّح جمع من المفسِّرين بذلك. إلَّا أنّ الإمام الرضا عليه السلام بيَّن حقيقة هذا الأمر بقوله: {لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلمَّا جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمه

الإخلاص، كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٧٢].

فلمّا فتح الله (عز وجل) على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مكة ﴿فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدَّم وما تأخَّر؛ لأنَّ مشركي مكَّة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم}[٧٣].

وهناك أمثلة كثيرة ومتعددة تبين عمق الترابط والاتصال بين العترة والقرآن، وكان الإمام الرضا عليه السلام هو العروة الوثقى بين القرآن وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله والسبيل المستقيم والصراط القويم.

والعروة الوثقى وردت في القرآن الكريم في موضعين الأول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٧٤].

والثاني: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٧٥] والمقصود منها عند أهل اللغة هي الشيء الوثيق الذي لا ينفصم، ولا ينقصم وكان لأحاديث النبي العظيم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام الحظ الأكبر والأوفر من التفسير لمعنى هذه العروة الوثقى.

وهناك روايات كثيرة فسرت العروة الوثقى بأهل البيت عليهم السلام إما عن طريق مودتهم، أو عن طريق ولايتهم والبراءة من أعدائهم. لا داع لذكرهم هنا، والمراد ذكره ما يخص الإمام الرضا عليه السلام ، فقد روى أيضاً في كتاب الزيارات للإمام الرضا عليه السلام جاء فيها: (أشهد أنه من والاك فقد والى الله، ومن عاداك فقد عادى الله، ومن استمسك بك وبالأئمة من آبائك وولدك فقد استمسك بالعروة الوثقى)[٧٦].

وهناك من فسر العروة الوثقى بالولاية لعلي عليه السلام وأهل بيته أو المحبة لهم عليهم السلام والبراءة من أعدائهم.، فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى فليتمسك بحب علي وأهل بيتي)[٧٧].

فأئمة الهدى عليهم السلام كانوا يدعون ويعلّمون طلابهم الدعاء في طلب التمسك بهذه العروة الوثقى، فدعاء الأمام الرضا عليه السلام: (ثم اضطجع على يمينك مستقبل القبلة وقل: استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وبحبل الله المتين)(٧٨).

٢ـ المبحث الثاني ـ صفحات من مآثر الإمام علي الرضا عليه السلام:

أ) المطلب الأول ـ الحكم والمواعظ

لقد سار الإمام الرضا عليه السلام على نهج آبائه المعصومين مؤديا رسالته التربوية في توجيه المجتمع نحو قيم الإسلام المحمدي الأصيل. وقد قدم مجموعة من المواعظ والحكم المضيئة، والكلمات البليغة، والأشعار الوعظية، عالج فيها جميعا مزيداً من الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والتربوية، بأسلوب متين مقرون بالفصاحة والوجازة والبلاغة، يفيض بالإيمان ويشع بالحكمة، ويزخر بالعطاء الذي يتسع ليشمل جميع جوانب الحياة، وهي بمجموعها مما يفترض بالإنسان المسلم أن يطبقه ويتحلى به ليكون منسجما مع مبادئ الإسلام قولاً وعملاً.

ومن كلماته وحكمه القصار قوله عليه السلام: "أحسنوا جوار النعم، فإنّها وحشية ما نأت عن قوم فعادت إليهم"(٧٩).

"لا يعدم المرء دائرة السوء مع نكث الصفقة، ولا يعدم تعجيل العقوبة مع إدراع البغي"(٨٠).

لقد رفض الإمام علي الرضا عليه السلام جميع مغريات الحكم والسلطان، وكره كأشد ما تكون الكراهية ما يقيمه الناس للموكهم وحكامهم من المهرجانات الشعبية، وصنوف العظمة والتكريم، وقد أعلن ذلك بقوله: " إن مشي الرجال خلف الرجال فتنة للمتبوع، ومذلة للتابع"(٨١).

ومن أقواله في الحكم:

- لم يخنك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن.
- الأجل آفة الأمل، والبر غنيمة الحازم، والتفريط مصيبة ذي القدرة، والبخل يمزق العرض، والحب داعي المكاره، وأجل الخلائق وأكرمها: اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وتحقيق أمل الآمل، وتصديق مخيلة الراجي، والاستكثار من الأصدقاء في

الحياة، والباكين بعد الوفاة.

- الأخ الأكبر بمنزلة الأب.
- إن الله يبغض القيل والقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.
- الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله.
- التودد إلى الناس نصف العقل.
- ثلاث من سنن المرسلين: العطر، وإحفاء الشعر، وكثرة الطروقة.
- خمس من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم تعرف الوثاقة في أرومته، والكرم في طباعه، والرصانة في خلقه، والنبل في نفسه، والمخافة لربه.
- السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكلوا من طعامه.
- صاحب السلطان بالحذر، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحرز، والعامة بالبشر.
- صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله.
- صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله.
- الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير.
- طوبى لمن شغل قلبه بشكر النعمة.
- عليكم بسلاح الأنبياء. قيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: الدعاء.
- عونك للضعيف أفضل من الصدقة.
- ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله.
- ليس لبخيل راحة، ولا لحسود لذة، ولا لملول وفاء، ولا لكذوب مروءة.
- من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر،

ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، وصديق الجاهل في تعب، وأفضل المال ما وقي به العرض، وأفضل العقل معرفة الإنسان نفسه.

ومن أجوبته البليغة:

- قال إبراهيم بن العباس: سمعت الرضا عليه السلام يقول: وقد سأله رجل: أيكلف الله العباد ما لا يطيقونه؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام: هو أعدل من ذلك. فقال: فيقدرون على كل ما يريد؟ فقال: هم أعجز من ذلك(٨٢).
- وسئل عليه السلام عن السفلة، فقال: من كان له شيء يلهيه عن الله.
- وقيل له عليه السلام: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بأجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابنا، والنار من ورائنا، ولا ندري ما يفعل بنا(٨٣).
- وسأله أحمد بن نجم، عن العجب الذي يفسد العمل. فقال: العجب درجات، منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعا، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمتن على الله ولله المنة عليه(٨٤).
- وقال عليه السلام للحسن بن سهل في تعزيته: التهنئة بآجل الثواب، أولى من التعزية على عاجل المصيبة(٨٥).
- عن الهروي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبدا أحيا أمرنا. فقلت له: كيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها للناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا(٨٦).
- وسئل عليه السلام عن صفة الزاهد، فقال: متبلغ بدون قوته، مستعد ليوم موته، متبرم بحياته(٨٧).
- وسئل عليه السلام عن القناعة، فقال: القناعة تجتمع إلى صيانة النفس، وعز القدر، وطرح مؤن الاستكثار، والتعبد لأهل الدنيا. ولا يسلك طريق القناعة إلا رجلان: إما متعلل يريد أجر الآخرة، أو كريم متنزه عن لئام الناس(٨٨).
- وسئل عن حد التوكل، فقال: أن لا تخاف أحداً إلاَّ الله(٨٩).

وهناك الكثير من المسائل التي وجهت للإمام الرضا عليه السلام وأجاب عليها ببلاغة وفصاحة ودقة وإيجاز حتى غدت على ألسنة الناس كالأمثال.

وما قدمناه غيض من فيض، وقطرة من بحر هذا الإمام العظيم الذي ملأ الدنيا حكمة وموعظة، وفاض عليها ندى وأدباً وكرماً، وخير سبيل لنا هو أن نرتشف من معين هذه الحكم البليغة، ونتزود منها قولاً وعملاً، ونتجمل بها ليوم لا ينفع مال ولا بنون، إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

ب) المطلب الثاني ـ مناظراته مع العلماء

يعتبر النهج الإلهي الصافي الذي حمله الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ضمانة للإنسان في مصادر معرفته، وفي أسلوب حياته، وتطلعاته نحو المستقبل.

والتراث العظيم الذي تركه أهل البيت عليهم السلام ينابيع غنية تدلنا على أساليب العمل المنتج، وعلى مناهج الحوار العقائدي والمعرفي، وهو تراث قيّمٌ نفيسٌ يحمل من القداسة والبصيرة والعمق والصدق ما يذكرنا بمناهج الأنبياء.

والكتب المؤلفة في الاحتجاج (المحاورة) والمناظرات التي جاءت في هذا السياق تدلُّ على مدى الجهد الضخم المبذول من أئمة الهدى عليهم السلام في سبيل التعليم والتذكير والإنقاذ، وفي سبيل الكشف عن زيف الاتجاهات الأخرى الضالة.

وقد حفظت المصادر التاريخية والحديثية مشاهد كثيرة من محاورات الإمام الرضا عليه السلام ومناظراته وإجاباته ومواقفه إزاء التيارات الفكرية والعقائدية والفقهية المتضاربة.. فكان دائماً ينطق بكلمة الفصل ويجهر بقول الحق.

هكذا هي حياة أهل البيت عليهم السلام زاخرة في جوانبها العمليّة والأخلاقيّة فهم أصول الكرم وقادة الأمم وساسة العباد وقدوات على طريق الله، فحياتهم العلميّة والفكريّة تشكّل منبعاً أصيلاً لمعرفة الإسلام والدّعوة إليه، و-أيضاً- في فهم العقيدة الحقّة وإزالة الشّبهات الفكريّة والعقديّة الّتي تواجه عقائد النّاس وأفكارهم.

ومن السير العلمية لها الأثر البالغ في تثبيت العقيدة وتشييد أركانها هو اعتمادهم أسلوب (المجادلة الحسنة) مع الآخر أيّاً كان الآخر من أيّ ديانة أو ملّة أو مذهب، وسواء

كان ملحداً أو معانداً أو طالباً للحقيقة... وهو تأصيل لمبدأ قرآنيّ مستمدّ من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٩٠] فالمجادلة والمناظرة والاحتجاج تمثّل إحدى أهمّ الأدوات الرّساليّة في الدّعوة إلى الله وكشف الحقائق بالأدلّة و دحض الشّبهات والافتراءات.

"فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين له إلا قطعه وألزمه الحجة، وكان الناس يقولون: والله إنه أولى بالخلافة من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إلى المأمون فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده[٩١]، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حق، وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك، ويحقده عليه، ولا يظهره له، فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم"[٩٢].

بعد قدوم الإمام الرضا عليه السلام إلى مرو قام المأمون بعقد مجموعة من المناظرات العلمية التي حضرها مختلف العلماء، وكانت تتمحور في الغالب حول المسائل العقائدية والفقهية. وقد أدرج الطبرسي قسماً منها في كتابه الموسوم بالاحتجاج.

كان المأمون يهدف إلى إزالة الاعتقاد السائد لدى عامّة الأمّة حول أئمة أهل البيت من أنّهم ذوو (علم لدُنيّ)، وفي هذا يقول الشيخ الصدوق: "كان المأمون يجلب على الرضا من متكلمي الفرق و الأهواء المضلة كل من سمع به حرصاً على انقطاع الرضا عن الحجّة مع واحد منهم وذلك حسداً منه له ولمنزلته من العلم، فكان لا يكلم أحداً إلاّ أقرّ له بالفضل، والتزم الحجة له عليه".[٩٣] ودارت مناظرات الإمام علي الرضا عليه السلام حول:

- الآفاق العقائدية.
- دفاعه عن التوحيد.
- دليل صانع العالم واحد
- القول الفصل بين (العترة) و(الآل) و (الأمة).
- بيان فضل العترة من خلال القرآن الكريم.

- فضل الإمامة وبيان مقام الإمام.
- بين الجبر والتّفويض.
- ضدّ تحريف الحديث

ولسنا في وارد الدخول في تفاصيل هذه المناظرات خوف الإطالة في البحث.

في مجلس المأمون جمع المأمون زعماء الأديان والمذاهب وأمرهم بمناظرة الإمام الرضا عليه السلام كان المأمون يهدف إلى إحراج الإمام بأسئلتهم. وكان " النوفلي " من أصحاب الرضا عليه السلام وقد سأله الإمام: أتدري لماذا جمع المأمون أهل الشرك؟

فقال النوفلي: إنه يريد امتحانك

فقال الإمام: يا نوفلي أتحبّ أن تعلم متى يندم المأمون؟

قال النوفلي: نعم

قال الإمام: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم

توضأ الإمام وانطلق مع أصحابه إلى قصر الخلافة، وبدأ الحوار

قال الجاثليق: أنا لا أريد أن يحاججني رجل بالقرآن لأني أنكره ولا بالنبي صلى الله عليه وآله لأني لا أؤمن به.

قال الإمام الرضا: فإن احتججت عليك بالإنجيل أتومن؟

فقال الجاثليق: نعم و أقرّ به

قرأ الإمام الرضا جزءاً من الإنجيل، حيث بشّر عيسى بظهور نبي جديد، كما أخبره بعدد الحواريين، وقرأ عليه أيضاً كتاب أشعيا.

قال الجاثليق مدهوشاً: وحق المسيح ما ظننت أن في علماء المسلمين مثلك.

والتفت الإمام إلى رأس الجالوت واحتجّ عليه بالتوراة والزبور.

وكان "عمران الصابي" متكلماً، فسأل الإمام عن وحدانية الله ومسائل كثيرة، حتى حان وقت صلاة الظهر، فنهض الإمام إلى الصلاة، وبعد الصلاة استأنف الإمام حواره مع " عمران " حتى انصاع لدين الله الحق، فاتجه نحو القبلة وسجد لله معلناً إسلامه.

ومن الجدير بالذكر أن تلك المناظرات قد دونها بعض تلامذة الإمام عليه السلام إلاَّ أنّا لم نعثر عليها، ولعلها من جملة المخطوطات التي خسرها العالم العربي والإسلامي. وعلى أي حال فقد نقل بعض المؤرخين طائفة يسيرة من تلك المناظرات وهي ذات أثر مهم للغاية، فإنها على قلتها تكشف عن مدى ثروات الإمام العلمية، وتدلل على أنه من عمالقة الفكر والعلم في دنيا الإسلام.

ت) المطلب الثالث ـ الإصلاح في فكر الإمام علي الرضا عليه السلام:

إنّ أهل البيت عليهم السلام هم معدن النبوة، وأعلام الهدى، وأهل البلاغة والفصاحة، وحديثهم هو قبسٌ من نور الكلام الإلهيّ، وإضاءةٌ من هدي المنطق النبويّ، وشعلةٌ وضّاءة في سبيل هداية الأُمّة.

ولقد بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام جهوداً حثيثة في سبيل تصحيح مسارات مختلف جوانب الانحراف والتحريف الطارئة في حياة الأُمّة بالتيارات الفكرية المناهضة للعقيدة الإسلامية، كالغلو والإلحاد والزندقة.

وفي ظل هكذا واقع وجد أهل البيت عليهم السلام أنفسهم أمام مسؤولية رسالية وتاريخية عظمى، بما يمتلكون من عمق علمي وأفضلية ومحبة في الوسط الإسلامي، تؤهلهم لحفظ القرآن العظيم والشريعة المطهرة وتنقية المعارف الإسلامية من تلك الشوائب، وصيانة الفكر الإسلامي من الشبهات التي علقت به، وإحداث نقلة نوعية على صعيد الفكر والروح.

لقد أفاض عليه السلام من الأفكار والمعارف والمفاهيم وقيم الأخلاق والتربية والتوجيه الاجتماعي فقد روي عنه عليه السلام: (لا يستكمل عبد حقيقة إيمانه حتى يكون فيه ثلاث خصال: **التفقه بالدين**، **وحسن التقدير** في المعيشة، **والصبر على الرزايا**)(٩٤)، فالمؤمن لا بد أن يتحلى بهذه الخصال الثلاث حتى يستكمل حقيقة الإيمان، فمن لم يتفقه في دينه وعقيدته وشريعته ومنهجه وحركته فإنه يمشي على غير هدى، والمؤمن لا بد أن يعرف كيف ينظم أموره ويقدرها حتى يضبط معيشته وينظمها.

عاش الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في المرحلة كانت من أغنى مراحل الفكر والثقافة الإسلامية، ففيها عاش مؤسِّسو المذاهب الفقهية على سبيل المثال الشافعي ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل، فضلا عن مجموعة من فقهاء وأصحاب آراء ووجهات نظر فقهية كـ "أبي يوسف القاضي وسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك ويحيى بن أكثم".

كان الإمام عليه السلام ملجأ أهل الفكر والمعرفة، يُناظر علماء التفسير ويُحَاور أهل الفلسفة والكلام، ويردُّ على الزنادقة والغُلاة، ويوجِّه أهل الفقه والتشريع، ويثبت قواعد الشريعة وأصول التوحيد.

ومن هنا فإن الإمام علي الرضا عليه السلام اتخذ أساليب عدة في الإصلاح الديني كان من أهمها الرد على الانحرافات الفكرية الدينية، حيث تصدى عليه السلام للرد على جميع الانحرافات وكان يستهدف الأفكار والأقوال مرة والواضعين لها والمتأثرين بها مرة أخرى.

بالإضافة إلى أثره الكبير في التصدي لفتنة "**الجبر والتفويض**" ففي ردّه على المجبرة والمفوضة قال عليه السلام:" من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عزّ وجل فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك"(٩٥).

كما له ردود عديدة على أصحاب الافتاء والتفسير بالرأي والقياس وأصحاب الفتاوى تابعة لأهواء الحكّام وشهواتهم، وبالإضافة الى ذلك له رداً على أصحاب الديانات غير الإسلامية كاليهود والنصارى وغيرها.

لقد كانت له ردود على أصحاب الافتاء والتفسير بالرأي والقياس وأصحاب الفتاوى التابعة لأهواء الحكام، دَحَضَ عليه السلام جميع الروايات التي يعتمد عليها المنحرفون، وأكد بطلان صدورها عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وهَدَى الفقهاء وطلّاب العلم إلى الروايات الصحيحة.

وأما موقفه عليه السلام من الواقفة فيمكن القول عَمَل على مواجهة أفكارهم الهدامة بشتى الأساليب من أجل القضاء عليهم وبذلك أستطاع تحجيم دورهم وإيقاف حركتهم داخل مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولم تنتشر أفكارهم إلا عند أصحاب المطامع والأهواء.

وهكذا فقد كان للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الأثر الكبير في تقويم الفكر والثقافة الإسلامية، وقد أثرت عن الإمام جمهرة من غرر الحكم والآداب والوصايا والنصائح، وغيرها مما ينفع الناس، وقد دللت على أنه كان المربي الأكبر للعالم الإسلامي في عصره.

ابتدأ الإمام عليه السلام بالرد على الافكار المنحرفة ثم أمر بمقاطعة واضعيها والقائلين بها والمتأثرين بها؛ لتطويقها في مهدها والحيلولة دون استشرائها في الواقع، ثم عمل على نشر الافكار السليمة لتتم المحاصرة من جميع الجوانب.

فكان عليه السلام يقوم بتفسير الآيات القرآنية التي تتناول أصول وقواعد العقيدة والشريعة، ويهتمّ بنشر الأحاديث الشريفة عن آبائه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله لكي تكون هي الحاكمة على أفكار وتصورات المسلمين.

وكان يستثمر جميع الفرص المتاحة لتبيان الفكر السليم والمفاهيم الشرعية الصحيحة.

٣ـ المبحث الثالث: ـ الآثار الثقافية والمعرفية للإمام علي الرضا عليه السلام:

أ) المطلب الأول ـ لإمام الرضا عليه السلام مرجعية فكرية وأدبية ودينية للأمة.

ولد الإمام الرضا عليه السلام أيام أبي جعفر المنصور وعاصر من خلفاء بني العباس المهدي الهادي والرشيد والأمين والمأمون ،وقد كانت هذه الفترة من أكثر فترات الفكر والثقافة الإسلامية توسيعاً ونموا وفيها عاش مؤسسو المذاهب الفقهية.

كان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مفزع العلماء وملجأ أهل الفكر والمعرفة، يناظر علماء التفسير ويحاور أهل الفلسفة والكلام، ويرد على الزنادقة والغلاة، ويوجه أهل الفقه والتشريع ويثبت قواعد الشريعة الإسلامية وأصول التوحيد.

وقد شهد علماء عصره من فقهاء وحكماء ومتصوفة ومتكلمين إسلاميين من زنادقة وغلاة وملاحدة بغزارة علمه وقوة حجته وتفوق بيانه على خصوم الإسلام في مجالس المناظرة والإفتاء ومجالس الحوار والمحاججة حتى أن محمد بن عيسى اليقطيني قال: (لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب خمس عشرة ألف مسألة)[٩٦]، وفي رواية أخرى ثمانية عشر ألف مسألة[٩٧].

إذاً بهذه الصفات التي حاز عليها الإمام الرضا عليه السلام استحق أن يكون إماماً ومرجعاً لعلماء الأمة وقادة الفكر وأساطين المعرفة وعن الشيخ الطبرسي عن أبي الصلت، قال: (ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان.

وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي أحد منهم إلا أقر له بالفضل، وأقر على نفسه بالقصور)[٩٨].

ويقول: (لقد سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام، يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا إلى بأجمعهم، وبعثوا إلى بالمسائل فأجيب عنها)[٩٩].

قال أبو الصلت: ولقد حدثني محمد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه:

(إن موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد عليهم السلام فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم، فإني سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام غير مرة يقول لي: إن عالم آل محمد عليهم السلام لفي صلبك، وليتني أدركته فإنَّه سمي أمير المؤمنين علي عليه السلام).

ومن حكم الإمام عليه السلام إحباطه لمحاولات المأمون في أحراجه، فالمأمون يسأل بعض الأسئلة التي يظن فيها إحراج للإمام فيرد الامام الرضا عليه السلام عليه بنحو من الحكمة ليقنعه. فذات مرَّة عندما كان المأمون جالساً مع أبي الحسن عليه السلام ومعهم حضور من الناس فقال المأمون للإمام الرضا: يا أبا الحسن كيف قلتم أن علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام: ألستم تروون عن جدكم ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: حب علي إيمان وبغضه كفر؟

فقال المأمون : نعم نروي فقال له الإمام: فتلك هي القسمة بين الجنة والنار وهكذا الزم المأمون من كتبهم ليس لأن كتبهم هي الأفضل، بل من أجل الزامهم بما في كتبهم فاستفاد الإمام من ذلك لتثبيت العقيدة عند الحاضرين.

فالإمام الرضا نشر العلم الذي يريد واستفاد من الزمان والمكان و الفرصة التي حصلت له.

ب) المطلب الثاني ـ الإمام الرضا عليه السلام مؤسس النهضة العلمية في العالم الإسلامي

أربعة من أئمة الهدى عليهم السلام تسنى لهم نشر معارف الإسلام في الآفاق. أولهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم الإمام الرضا والصادقان محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم جميعاً صلوات الله. وبالرغم من أن جميع أئمة الهدى نشروا العلم، إلاّ أن الظروف ساعدت هؤلاء الأربعة على ذلك أكثر من الآخرين.

لم تقتصر علوم الإمام الرضا عليه السلام على أحكام الشريعة الإسلامية الغرّاء فقط، وإنما شملت جميع أنواع العلوم، والتي منها علم الطب، فقد كان عليه السلام عَلَماً من أعلامه، ومتمرّساً بجميع فروعه، وقد وُضِعَت البرامج العامَّة لإصلاح بدن الإنسان ووقايته من الإصابة بالأمراض الذي هو القاعدة الأساسية للطبِّ الوقائي في هذه العصور، والذي يُعَدّ من أعظم الوسائل في تقدم الصحة وازدهارها.

فالبلاط العباسي تحوَّل إلى مسرح للبحوث العلمية والفلسفية، ومن بين البحوث العلمية التي عُرِضت في تلك الندوات هو ما يضمه بَدَن الإنسان من الأجهزة والخلايا العجيبة، وبدائع تركيب أعضائه التي تَجلَّت فيها حكمة الخالق العظيم، وروعة قدرته.

وفي إحدى الجلسات التي حضرها كبار العلماء والقادة وكان في طليعتهم (الإمام الرضا عليه السلام والمأمون، و يُوحَنَّا بن ماسَوَيْه. وجِبرائِيل بن بَخْتَيْشُوع. وصالح بن بهلة الهندي)، وقد خاض هؤلاء القوم في البحوث الطبية والإمام عليه السلام ساكت لم يتكلم بشيء، فانبرى إليه المأمون قائلاً له بإكبار: ما تقول يا أبا الحسن في هذا الأمر الذي نحن فيه اليوم والذي لا بُدَّ منه، من معرفة هذه الأشياء، والأغذية النافع منها والضار، وتدبير الجَسَد.

وقد استجاب الإمام عليه السلام إلى طلب المأمون فزوَّده برسالةٍ ذهبية، وهي الآن موجودة في كتاب (طِبِّ الإمام الرضا)، وهو كتاب من منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، وقد طبع في سنة (١٣٨٥هـ) ونعرض مقتطفاً منها:

فبعد البسملة والحمد والثناء قال عليه السلام: (أعلم يا أمير المؤمنين ان اللّه تعالى لم يبتل العبد ببلاء حتّى جعل له دواء يعالج به، و لكل صنف من الداء صنف من الدواء و تدبير و نعت، إنَّ الأجسام الإنسانية جُعِلت في مثال الملك، فَمَلِكُ الجَسَد هو القَلب، والعُمَّال العروق

والأوصال والدماغ. وبيت المَلِك قَلبُه، وأرضُه الجَسَد، والأعوانُ يَداه، ورِجْلاه، وعَينَاه، وشَفَتاه، ولِسَانُه، وأُذناه. وخزانتُه معدتُه وبطنُه، وحِجَابُهُ صَدرُه، فاليَدان عونان يُقرِّبان ويُبَعِّدان، ويعملان على ما يُوحي إليهما الملك. والرِّجلان تنقلان المَلِك حيث يشاء، والعَينَان تدلاَّن على ما يغيب عنه، لأنَّ الملك وراء حِجابٍ لا يوصلُ إليه إلا بهما، وهما سِراجَاهُ أيضاً، وحصن الجسد وحرزه.

والإذنان لا تدخلان على الملك إلا ما يوافقه، لأنَّهُما لا يقدران أن يدخلا شيئاً حتى يوحي الملك إليهما، فإذا أوحى إليهما أطرق الملك منصتاً لهما حتى يسمع منهما، ثم يجيب بما يريد، فيترجم عنه اللِّسان بأدوات كثيرة، منها ريح الفؤاد، وبخار المعدة، ومعونة الشَّفَتين، وليس للشَّفتين قوة إلا بالإنسان، وليس يستغني بعضها عن بعض...)[١٠٠].

فالإمام الرضا عليه السلام ومن وراء عمله العلمي ومن خلال المناظرات والندوات ـ التي كانت تعقد باستمرار خلال ولايته للعهد قدمته عليه السلام بصفة صاحب مشروع ونهج علمي وثقافي كبير، يرتكز على مبادئ وقواعد الإيمان الديني الإسلامي، وأبرزته كقائد رسالي فذ استطاع أن ينفع الناس بالإسلام (أكثر مما انتفع هو) من خلال وجوده الشخصي كولي للعهد بالرغم من رفضه المطلق لهذه الولاية (الشكلية). لكن الأمر الذي يبقى حاضراً في ذهنية الأجيال اللاحقة باستمرار هو أنَّ الإمام الرضا عليه السلام قد دعا إلى الإسلام العقلاني الإنساني، وحاول أن يؤصل ثوابته وأركانه في ذهنية الأُمّة بالرغم من وجود أزمات سياسية واجتماعية عاشها عليه السلام.

ومما يميز حياة الإمام الرضا عليه السلام العلمية أن كلماته كانت تلقى قبولاً في كافة الأوساط الإسلامية، ولعل ورود مدينة نيسابور التي كانت من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي أظهرت مدى اهتمام علماء الإسلام بأحاديث الإمام عليه السلام.

ويتراوح عدد الرواة عن الإمام الرضا عليه السلام كما جاء في المصادر الموجودة بين(٣١٣ - ٣٦٧) راوياً. وهؤلاء يعتبرون طلاّب مدرسته والمتخرجين على يديه. وقد أحصى عددهم صاحب مسند الإمام الرضا وترجم لِـ(٣١٣) راوياً منهم بشكل موجز جداً استناداً إلى ما جاء لهم من ذكر في أسناد روايات المسند. على أن الشيخ الطوسي رضي الله عنه قد ذكر ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، بينما أنهاهم الشيخ باقر شريف

القرشي إلى(٣٦٧) راوياً. حيث تكشف قائمة الرواة عن مدى الاهتمام منهم بانتهال العلم من مدرسة الإمام الرضا عليه السلام الرسالية في عصره، لا سيّما إذا لاحظنا تنوّع مستوياتهم وتنوّع اتجاهاتهم وتنوع بلدانهم واهتماماتهم العلمية من خلال تنوع الأسئلة والمجالات التي رووا فيها الأحاديث عن الإمام الرضا عليه السلام. وتعطينا صورة اجمالية عن اتجاهات مدرسة الإمام الرضا عليه السلام وملامح عصره في مجالات التربية العلمية والأخلاقية.

كما ازداد النشاط العلمي لشيعة أهل البيت عليهم السلام في هذا العصر وتمثّل في كثرة التأليف والتدوين، والتدريس والرواية وشمل جميع الحقول المعرفية المعروفة آنذاك.

ومن العوامل التي ساعدة الإمام في نشر المعارف الإسلامية انتقاله إلى حاضرة البلاد الإسلامية، وقبوله لولاية العهد مما جعله في قلب الصراعات الفكرية.

أ) المطلب الثالث ـ الإمام علي الرضا عليه السلام والفكر السياسي.

وبرز الإمام الرضا عليه السلام على مسرح الحياة السياسية في الاسلام كألمع سياسي عرفه التاريخ الإسلامي، فقد كان صلباً في مواقفه السياسية، فلم تخدعه الأساليب البراقة، ولا الأماني المزيفة التي قدمها له الملك العباسي المأمون من تنازله عن العرش، وترشيحه له، فلم يكن هذا العرض واقعياً، ولا صادقاً بحال من الأحوال، وإنما كان لأغراض سياسية لعل كان من أهمها القضاء على الثورات الملتهبة التي كادت أن تحرق الحكم العباسي، وتلف لواءه.

عاصرت حياة الإمام الرضا عليه السلام ثورات وانتفاضات عديدة ضدّ العباسيّين، قام بها تلامذةٌ من مدرستي الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام، وحملوا أطروحتهما، وقد ملأوا العالم الإسلامي من الكوفة والبصرة والمدينة المنوّرة ومكّة المكرّمة وحتى اليمن.. رفعوا فيها شعارات مدرسة الإمام الرضا عليه السلام وحكموا بمنطقها.

فخرج الإمام الرضا عليه السلام على الناس المؤيّدة له، وأمرهم بأمرٍ واحد بتفريقهم وإطاعته، فأطاعوه وعادوا الى ولاياتهم، وهذا يعني أنّ الإمام الرضا عليه السلام كان يملك رصيداً شعبياً واجتماعياً وسياسياً ضمن نفس البلد الذي يحكمه المأمون بالقوّة..

إنّ دراسة الواقع السياسي ـ الذي عاصره الرضا عليه السلام ـ يقدم لنا صورة حية عن طبيعة الحراك السياسي الذي مارسه في سياق بروزه كموقع سياسي أصيل للأُمّة على صعيد

دعوته إلى الإصلاح والتغيير باتجاه المبادئ والقيم الإسلامية الحقيقية القائمة على الحق والعدل والتسامح.

لكي يستطيع عليه السلام السير من خلالها في إطار حركته الدعوية الهادفة، وبث القوة الروحية المعنوية والمفاهيمية في داخل الأُمّة، ومواجهة تعقيداتها السياسية الكبيرة، ومحاولة إعادة المجتمع الإسلامي المسترخي إلى طريق التوازن والوعي والاعتدال في خط الجهاد النفسي والعملي، باعتبار أنَّ الأُمّة عندما تواجه مشاكل وتحديات خطيرة ومعقدة تتصل بطبيعة وجودها ومصيرها تستوجب الحل الفوري، فإنها تحتاج إلى من يبين لها الطريق وينورها على حقيقة هذه التعقيدات وعلى الاحتمالات المتعددة النابعة منها، وبالتالي يرشدها إلى اتباع الأساليب الأفضل والأضمن، والمواقف والالتزامات الأكثر قدرة على تحقيق أهداف الأُمّة، وتحديد مصائرها وآمالها بما يضمن السلامة والأمان.

وفي هذا الإطار سعى الرضا عليه السلام إلى إيجاد مواقع عملية دقيقة لمجمل تحركه الاجتماعي والسياسي الهادف إلى الحفاظ على نقاوة وأصالة رسالة الأُمّة، وربما يكون قبوله بولاية العهد أحد هذه القنوات البديلة التي اعتمدها عليه السلام من أجل تحقيق بعض المكاسب والإنجازات للأُمّة والمجتمع الإسلامي. وحماية المفاهيم الأصيلة للإسلام في العقيدة والشريعة، ومحاولة فتح الساحة الإسلامية كلها على واقع التجربة الإسلامية الصحيحة، وكان يحاول أن يضع الحقيقة بين أيدي الناس ليحكموا هم بأنفسهم.

من الواضح هنا أن موافقة الإمام الرضا عليه السلام على استلام (مسؤوليات؟!) ولاية العهد، قد جاءت محمولة على شروطه الخاصة التي كشفت عن عدم رغبته الضمنية بهذا الأمر. وهذه الشروط هي:

١- لا يولي أحداً.

٢- لا يعزل أحداً.

٣- لا ينقض رسماً.

٤- أن يكون مشيراً من بعيد في شؤون الدولة

وفعلاً أجاز المأمون هذه الشروط التي تتصادم مع مصالحه الدنيئة، ونواياه الخبيثة، وقد تباينت مواقف وردود وأفعال الناس تجاه هذا الحدث الكبير، الذي اعتبره الكثيرون منهم حدثاً غريباً وغير مألوف إطلاقاً.

لقد ردّ الرضا عليه السلام من جانبه على استفسارات أنصاره ومحبيه وأتباعه، وأظهر لهم حقائق هذه الواقعة. أما على مستوى المأمون فقد ارتفعت أصوات كثيرة معلنة الاحتجاج والرفض الشديد لهذا الأمر.

كان الإمام الرضا عليه السلام إنساناً واعياً ومدركاً تماماً لخلفيات وخبايا واقع اُمته الحضاري، لذلك لم يستطع هذا الواقع الضاغط ـ بكل فكره ورموزه وشخصياته ـ أن يخضع روحه وعقله، أو يهز قراره وإرادته، ولم تتمكن القيم السكونية (حب الاسترخاء والراحة والدعة) من الدخول إلى جوه وطبعه النفسي الخاص.

لقد وجد عليه السلام نفسه في واقع سياسي معقد ومرتبك، وشديد التنوع (بالمعنى السلبي طبعاً)، فحاول أن يفهمه ويحلله من موقع وعيه هو، لا من موقع سلبيات الواقع ذاته، وقد عمل الإمام الرضا عليه السلام أمام هذا الواقع السلبي عل مواجهته من خلال معيارين:

١- **المعيار الأول:** يتعلق بالجانب التثقيفي المعرفي في رفض التعاون مع أي نظام حاكم ظالم لا يستمد شرعيته من إجماع الأُمّة (رفض ولاية الحاكم الجائر بالمطلق). ثبت الرضا عليه السلام في أذهان أصحابه فكرة عدم جواز معاونة الظالمين، ورفض مساعدة السلطان الجائر المنحرف، وعدم الارتباط به وبرموزه مهما كانت التحديات يقول عليه السلام لسليمان الجعفري (وقد سأله عن أعمال السلطان): ((يا سليمان.. الدخول في أعماله، والعون له، والسعي في حوائجه عديل الكفر))[١٠١].

٢- **المعيار الثاني:** يتعلق بالجانب الحركي والواقعي في التعاون مع النظام الحاكم تحقيقاً للمصلحة الإسلامية العليا (القبول المؤقت بولاية الجائر). فقد انطلق إمامنا عليه السلام على هذا المستوى، بكل ما لديه من طاقات، حيث سلك طريق الدعوة إلى الإسلام، وترسيخ أبعاده المعرفية والعقائدية في ذهنية الأُمّة، بما في ذلك التوعية العقائدية والتثقيف السياسي بالإسلام (بصورة غير مباشرة طبعاً) من دون أن يسمح لنفسه

(ولغيره من الأصحاب والشيعة) بأن يكون جزءاً من الواقع السياسي القائم ـ في نظر الإمام عليه السلام ـ على ضوابط وأُسس غير شرعية.

يمكن لتجربة الإمام الرضا عليه السلام في الجانب السياسي ـ وفي غيره من الجوانب طبعاً ـ أن تضع بين أيدينا وعياً سياسياً مباشراً حول كيفية التعامل والمشاركة (أو عدم المشاركة) في الواقع اليومي المباشر للحكم السياسي الخاص بهذا النظام أو ذاك.

الخاتمة ونتائج البحث:

- الإمام الرضا عليه السلام (الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام)، أجمع المحب والمخالف على علو شأنه ورفعة مرتبته، العلمية و تلك الأرضية التي أوجدها الأمام علي بن موسى الرضا عليه السلام للأمة عامة ولاتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بصورة خاصة هي أرضية الحوار مع الآخر وقبول الآخر.
- يعتبر الإمام علي الرضا عليه السلام نموذجاً وقعياً وعلمياً في الحوار المتمدن والمقنع والذي يعتمد على الحجج والأدلة.
- اعتمد الإمام الرضا عليه السلام على القرآن في كل مناظراته وفي كل محاوراته، وكان يتميز بالصبر، والاطلاع الواسع، والثقافة العالية في كل ما يقوم به.
- برز الإمام الرضا عليه السلام على مسرح الحياة السياسية في الاسلام كألمع سياسي عرفه التاريخ الإسلامي، فقد كان صلباً في مواقفه السياسية، كان واعياً ومدركاً تماماً لخلفيات وخبايا واقع اُمته الحضاري.
- لم تقتصر علوم الإمام الرضا عليه السلام على أحكام الشريعة الإسلامية الغرَّاء فقط، وإنما شملت جميع أنواع العلوم، والتي منها علم الطب وغيرها من العلوم الأخرى.
- لقد سار الإمام الرضا عليه السلام على نهج آبائه المعصومين مؤديا رسالته التربوية في توجيه المجتمع نحو قيم الإسلام المحمدي الأصيل. وقد قدم مجموعة من المواعظ والحكم المضيئة، والكلمات البليغة، والأشعار الوعظية، عالج فيها جميعا مزيداً من الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والتربوية.

- كان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مرجعاً دينياً وفكرياً، وفقهياً، وملجأ لأهل الفكر والمعرفة.
- اعتمد الإمام الرضا عليه السلام على التأصيل القرآني في مناظراته، وحججه، وفي محاوراته، وفي تفسيره للقرآن بالمأثور.

هوامش البحث

(١) عيون أخبار الرضا: الشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١)، عني بتصحيحه وتذييله الأستاذ الفاضل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، الناشر: رضا مشهدي، قم، ص١٩.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٤٩/ ١٠١.

(٣) الكافي: الشيخ الكليني.٣١٤/١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ٣٤/١.

(٤) عيون أخبار الرضا: الشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١)، عني بتصحيحه وتذييله الأستاذ الفاضل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، الناشر: رضا مشهدي، قم، ص١٣.

(٥) المصدر السابق: ٢٥٠/٢

(٦) الإرشاد: الشيخ المفيد . ٢٧١/٢.

(٧)الكافي: الشيخ الكليني.٤٨٦/١.

(٨) إعلام الورى: الشيخ الطبرسي . ٦٤/٢.

(٩) سيرة الأئمة عليهم السلام: سلسلة المعارف التعليمية(دروس في الحياة الأخلاقية والتربوية والسياسية). إعداد مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، ٢٠٢٠، ص٢٠.

(١٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١٩٧/١.

(١١) روضة الكافي، الشيخ الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ٨/ ١٨٦، رقم ٢٩٦

(١٢) الجن: ٢٦.

(١٣) الأعراف: ١٩٩.

(١٤) البقرة: ١٧٧.

(١٥) مسند الإمام الرضا: الشيخ عزيز الله عطاردي، ٤٨/١ من حياة الإمام الرضا عليه السلام.

(١٦)الكافي: الشيخ الكليني. ٦/ ٢٨٣.

(١٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام،الشيخ الصدوق: ١٩٨/١.

(١٨) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٣٢٢/٦٨. .
(١٩) شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني، ٢٧٣/١٠.
(٢٠) شذرات من حياة الإمام الرضا: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية، العتبة العلوية المقدسة، ط١، ٢٠١٦. ص١٨.
(٢١) شذرات من حياة الإمام الرضا: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية، العتبة العلوية المقدسة،ص١٩.
(٢٢) الكافي: الشيخ الكليني. ٢٠٠/١.
(٢٣) المصدر السابق: ص٢٢.
(٢٤) الكافي: الشيخ الكليني.١٧٨/١.
(٢٥) شذرات من حياة الإمام الرضا: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية، العتبة العلوية المقدسة،ص٢٥.
(٢٦) شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني. .٢٢/.
(٢٧) عيون أخبار الرضا: الشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق: ٥٩/١.
(٢٨) بحار الأنوار: العلامة المجلسي. تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط٢ المصححة، ١٩٨٣، ١١٥/٢.
(٢٩) الأنفال: ٧٢.
(٣٠) الأنعام: ٣٨.
(٣١) الأنعام: ٨٤، ٨٥. والضمير في ذريته يرجع إلى إبراهيم عليه السلام.
(٣٢) آل عمران: ٦١.
(٣٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٨/٢
(٣٤) الكافي: الشيخ الكليني. ٣١٣/١.
(٣٥) بحار الأنوار: العلامة المجلسي. ٢٠/٤٩.
(٣٦) الأمالي: الصدوق. ٦٦٠/١.
(٣٧) الإسراء: ٨٢.
(٣٨) الحجرات: ١٣.
(٣٩) سورة ص: ٢٠-٢٦.
(٤٠) الفاتحة: ١
(٤١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الصدوق. ٢٣٦/٢.
(٤٢) علي الرضا وآثاره في تفسير القرآن الكريم: عماد الكاظمي، ط١، معالم الفكر، بيروت، ٢٠١٥، ص٢٧.
(٤٣) الميزان: الطباطبائي ٢٥/١.
(٤٤) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي. تحقيق: السيد هاشم المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت، ٢٤/١.

(٤٥) النساء: ٥٩.
(٤٦) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي. ٢٥٢/١.
(٤٧) الفتح: ٤.
(٤٨) العياشي: ٨٤/٢.
(٤٩) الإمام علي الرضا وآثاره في تفسير القرآن الكريم. ص٥٢.
(٥٠) لسان العرب: ابن منظور. ط١، مطبعة الميرية ببولاق، مصر، ١٣٠١ ه.مادة (س ك ن)
(٥١) التوبة: ٢٦.
(٥٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني. ضبط: هيثم طعيمي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨، مادة (سكن)
(٥٣) الضحى: ٦-٨.
(٥٤)الأحقاف: ٣٥.
(٥٥) النمل: ١٢.
(٥٦) الأنبياء: ٢٨.
(٥٧) آل عمران: ٦١.
(٥٨) البقرة: ٢٦٠.
(٥٩) البقرة: ٧.
(٦٠) لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ،٤/١.
(٦١) آل عمران: ٣٤.
(٦٢) مريم: ٣٠.
(٦٣) البقرة: ٣٥.
(٦٤) البقرة: ٣٥.
(٦٥) الأعراف: ٢١.
(٦٦) الأعراف: ٢٠-٢١.
(٦٧) الأعراف: ٢٢.
(٦٨) طه: ١٢١-١٢٢.
(٦٩) آل عمران: ٣٣.
(٧٠) عيون أخبار الرضا: ٧٤/١-٧٥.
(٧١) الفتح: ٣.

(٧٢) ص: ٥-٧.
(٧٣)عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٨٠/١.
(٧٤) البقرة: ٢٥٦.
(٧٥) لقمان: ٢٢.
(٧٦) بحار الأنوار: العلامة المجلسي. ٥١/٩٩.
(٧٧) عيون الرضا: الشيخ الصدوق. ٦٣/١- ١٦/٢.
(٧٨) فقه الرضا: ابن بابويه، ص١٣٨-١٣٩.
(٧٩) ميزان الحكمة: محمد اليشهري. ٣٣١٢/٤.
(٨٠) بحار الأنوار: العلامة المجلسي. ٣٥٣/٧٥.
(٨١) حياة الإمام علي الرضا عليه السلام: الشيخ باقر شريف. دار سعيد بن جبير، قم، ١٣٧٢ش. ص١٠.
(٨٢) تحف العقول: ص٤٤٨.
(٨٣) المصدر السابق: ٤٤٦.
(٨٤) المصدر السابق: ٤٤٤.
(٨٥) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٥٣.
(٨٦) بحار الأنوار ١٣/٢و٣٠ .
(٨٧) كشف الغمة: ٩٦/٣.
(٨٨)المصدر السابق: ٩٧/٣.
(٨٩) تحف العقول: ٤٤٥.
(٩٠) النحل: ١٢٥.
(٩١) سيرة الأئمة عليهم السلام: سلسلة المعارف التعليمية(دروس في الحياة الأخلاقية والتربوية والسياسية). ص٢٩٢.
(٩٢) عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق. ٢٣٩/٢.
(٩٣) الأنوار البهية: الشيخ عباس القمي . ص ٢١٨.
(٩٤) ميزان الحكمة: محمد الريشهري. ١/ ١٩٦.
(٩٥) الهداية: أبو جعفر محمد بن علي الصدوق. مؤسسة الإمام الهادي، قم، ١٩٩٨، ص١٨-١٩.
(٩٦) بحار الأنوار: العلامة المجلسي. ٤٩/ ٩٩.
(٩٧) الأنوار البهية: الشيخ عباس القمي. ص٢١٨.
(٩٨) الأنوار البهية: الشيخ عباس القمي. ص٢١٨.
(٩٩) المصدر السابق: ص٢١٨.
(١٠٠) الأنوار النعمانية: السيد نعمة الله الجزائري. ط١، ١٤٢٩ه، دار القاري، بيروت، عدد المجلدات ٤، ١٢٩/٤.
(١٠١) وسائل الشيعة: ٦/ ١٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم

١. الإرشاد: الشيخ المفيد. طبع على نفقة محمد كاظم الكتبي، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ١٩٦٢م-١٣٨٢.

٢. إعلام الورى: الشيخ الطبرسي. تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤١٧.

٣. الإمام علي الرضا عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم: عماد الكاظمي. ط١، معالم الفكر، بيروت، ٢٠١٥.

٤. الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية: الشيخ عباس القمي. تقديم وتعليق الشيخ محمد كاظم الخراساني ط١، المكتبة الحيدرية، ١٢٨٧هـ.

٥. الأنوار النعمانية: السيد نعمة الله الجزائري. ط١، ١٤٢٩هـ، دار القاري، بيروت، عدد المجلدات ٤.

٦. بحار الأنوار: العلامة المجلسي. تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي،ط٣، ١٩٨٣.

٧. تحف العقول: ابن شعبة الحراني. تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ١٤٠٤ه،

٨. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي. تحقيق: السيد هاشم المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت.

٩. حياة الإمام علي الرضا عليه السلام: الشيخ باقر شريف. دار سعيد بن جبير، قم، ١٣٧٢ش.

١٠. روضة الكافي، الشيخ الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ٨/ ١٨٦.

١١. سيرة الأئمة عليهم السلام: سلسلة المعارف التعليمية (دروس في الحياة الأخلاقية والتربوية والسياسية). إعداد مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، ٢٠٢٠.

١٢. شذرات من حياة الإمام الرضا: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية، العتبة العلوية المقدسة، ط١، ٢٠١٦.

١٣. شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني. تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور،ط٢٠٠٠،١.

١٤. علي الرضا عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم: عماد الكاظمي، ط١، معالم الفكر، بيروت، ٢٠١٥.

١٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق. صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط١، ١٩٨٤، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١)، عني بتصحيحه وتذييله الأستاذ الفاضل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، الناشر: رضا مشهدي، قم.

١٧. فقه الرضا: ابن بابويه. تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة، ط١، ١٤٠٦، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد المقدسة.

١٨. الكافي: الشيخ الكليني.١ ط١، ٢٠٠٧،منشورات الفجر، بيروت.

١٩. كشف الغمة: تأليف العلامة المحقق أبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، مكتبة بني هاشمي، تبرز، ١٩٦٢.

٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢١. لسان العرب: ابن منظور. ط١، مطبعة الميرية ببولاق، مصر، ١٣٠١هـ.

٢٢. مسند الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ عزيز الله عطاردي، ٤٨/١ من حياة الإمام الرضا عليه السلام.

٢٣. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني. ضبط: هيثم طعيمي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨،

٢٤. ميزان الحكمة: محمد اليشهري. دار الحديث، قم،٢٠٠٠.

٢٥. الميزان: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ط١، ١٩٩٧.

٢٦. الهداية: أبو جعفر محمد بن علي الصدوق. مؤسسة الإمام الهادي، قم، ١٩٩٨.